

الشيخ أحمد حبيب الله بامبا مباكي

(مؤسس الطريقة المريدية في السنغال)

Sheikh Ahmed Habibullah Bamba Mbaki

(Founder of the Meridian method in Senegal)

عائشة بومدين

المركز الجامعي -تمنراست -

aichaboumadine@yahoo.com

تاريخ النشر: 2020-05-31

تاريخ القبول: 2019-11-04

تاريخ الإرسال: 2018-11-01

الملخص :

يتناول هذا المقال شخصية احمدو بامبا أحد أقطاب الصوفية في السنغال في أواخر القرن التاسع عشر، و مؤسس الطريقة المريدية ،و كان له نهجا خاصا في محاربة الاستعمار الفرنسي ،كما عاش حياة علمية زاخرة إذا تتلمذ على يد أهم علماء موريتانيا و السنغال ، ترك مؤلفات عديدة في جميع الفنون الإسلامية ،و انضم إلى طريقتة عدد كبير من الأتباع و أسس مدينة طوبى عاصمة الطريقة المريدية من أهم المدن المقدسة في إفريقيا ،تستقبل ملايين الزوار سنويا لاحتفال بذكرى نفي الشيخ من طرف السلطات الاستعمارية .

الكلمات المفتاحية :أحمدو بامبا ،السنغال ،المريدية ،الطرق الصوفية ،الاستعمار الفرنسي ،الولوف

Abstract:

This article deals with the personality of Ahmetu Bamba, who was a saint of Wali and a religious leader in Senegal in the late 19th century and founded the Mouride Brotherhood. He had a special approach in the struggle against French colonialism. He also lived a great scientific life if he was educated by the most important scholars of Mauritania and Senegal. He left many works in all the Islamic arts and gained a large number of followers. He founded his holy city of Tuba, the capital of mouridiya, which millions visit annually to commemorate the Sheikh's exile by the colonial authorities .

Keywords: Ahmedou Bamba, Senegal, Sufi brotherhoods, French colonization, Wolo

مقدمة :

امتاز القرن التاسع عشر بحركة صوفية نشطة سرت في جميع أنحاء السودان الغربي خاصة السنغال، الذي كان أرضاً خصبة للتصوف و الصوفية بحكم علاقاته التاريخية مع كل من بلاد شقيط و أزواد و دول المغرب الأقصى و الأوسط حيث توجد معاقل الطرق الصوفية الكبرى كالقادرية و التيجانية والسنوسية، بذلك اشتهرت السنغال بجيل من الرواد الأوائل و مؤسسي الطرق الصوفية حملوا على عاتقهم نشر الإسلام و اللغة العربية بين افراد المجتمع السنغالي .و كان لبعضهم أدواراً جهادية في محاربة الاستعمار أمثال عمر طال التيجاني و المابا دياخو التيجاني و أحمدو شيخو ابن الحاج عمر طال ،كما يوجد فريق آخر من العلماء و مقدمي الطرق الصوفية تبنا أسلوباً مختلفاً عن سابقهم أمثال الحاج مالك سي زعيم الطريقة التيجانية و أحمدو بامبا مؤسس الطريقة المريدية اللذان كانا لهما أسلوباً أكثر سلمية مع المستعمر و ركزا على جوانب أخرى اجتماعية و ثقافية و اقتصادية ،و يعتبر أحمد حبيب الله بامبا امباكي المعروف بأحمدو بامبا من أشهر علماء السنغال ،و أكثرهم أتباعاً ، لذلك نحن بصدد تقديم مقال تاريخي يتقصى بعض محطات حياته و ما قدمه للإسلام و المسلمين في السنغال ،طارحين الإشكالية الآتية : من هو أحمدو بامبا ؟و ما هي منطلقاته الفكرية ؟و ما هو موقفه من الاحتلال الفرنسي ؟

-سيرة الشيخ أحمدو بامبا

1 1--المولد و النشأة :

هو أحمد بن محمد بن حبيب الله بن محمد الخير (1)، والملقب ب (خادم الرسول) أو (العبد الخديم) والمشهور عند عامة السنغاليين بالشيخ الأكبر (2)، ينتمي إلى عائلة إمباكي الولوفية التي قد تعني المكي نسبة إلى مكة المكرمة حسب المؤرخ ما أورده المؤرخ فنان مونتاي (3). وأصول هذه العائلة من الفوتا تورو في شمال السنغال، لكنها هاجرت إلى الجولوف في النصف الثاني من القرن السادس عشر ولقد تعددت تأويلات المؤرخين حول سبب هجرة هذه العائلة، حيث يرى البعض أن السبب هو هروبهم من الوثنيين في منطقة الفوتا تورو والبعض الآخر يرى أن هذه الهجرة بسبب لحاقهم ببعض العائلات، التي فرت من الفوتا تورو بسبب الجفاف، واستقرت في الجولوف لأنها منطقة زراعية مناسبة (4). أما بخصوص تاريخ ميلاده ومكانه، فقد حدده المؤرخ الميريدي الشيخ محمد الأمين جوب في كتابه "إرواء النديم من عذب حب الخديم في 1272 هـ الموافق ل (1852 - 1853 م) بقرية إمباكي - باول التي أسسها جده الأكبر محمد الخير الملقب بمام مرامسنة 1870 (5) ،اسم والده مومار أنتاسالي Antasali Momar و الذي أظهر حبا و شغفا بالعلم فبعثه والده إلى قرية بامبا سال في

السالم ، ليتعلم على يد شيخها أحمدو سامبا ديوب ، الذي اشتهر باسم أحمدو بامبا نسبة إلى قريته وبعد أن أتم دراسته ، عاد لمساعدة والده في التعليم بمدرسته القرآنية ، وتزوج ثلاث مرات ، و زوجته الثالثة ، هي مام ديارا بوسو Mame Diarra Bousso التي أنجبت له ولدا أسماه أحمدو بامبا تيمنا بشيخه (6) ، اسم والدته العربي هو جارة الله مريم بنت محمد بن محمد حماد بن علي البوصوي ، التي يقال أنها تنتمي إلى ال البيت نسبة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (7) وكان والده عالم شهير ومحبوب من طرف الملوك والأمراء ، بسبب علمه وتقواه ، فهو يقضي بين الناس و يؤمهم ، ويعلم أبنائهم (8) و أثناء ثورة المابا دياخو في السالم رحل مومار أنتاسالي وعائلته إلى بورخان ، وفتح مدرسة قرآنية هناك ، وكان مؤدبا لأبناء المابا وحوالي سنة 1865 بدأ أحمدو بامبا يتعرف على الزعماء في المنطقة السنغالية ، حيث تعرف والده على لات ديور ، وأصبح مستشاره كما تزوج مومار أخت لات ديور ، وبعد توقيع هذا الأخير لمعاهدة 1971 مع الفرنسيين ، هاجر مومار مع عائلته إلى قرية باتار Patar في الكايور و أسس قرية أسماها امباكي - كايور ، وهي القرية الثانية التي حملت اسم عائلة امباكي ، وتوفي مومار انتاسالي سنة 1880 م (9) ، عندما كان عمر أحمدو بامبا ثلاثين سنة ، وكانت أمنية الوالد أن يرى ابنه يتولى منصب في بلاط لات ديور من بعده ، لذلك ولاه كتابة الرسائل ، والرد عليها إلى جانب عمله في التدريس ، وبالفعل عرض عليه لات ديور عن طريق بعض الوسطاء منصب والده كقاض ، وإمام لمدينة امباكي ، ولكنه رفض هذا العرض قائلا لهم " أنا لا أذهب إلى الأمراء ، و لا ارغب في دنياهم ، و لا أطلب إلا من الله رب الأرباب " (10).

كانت أسرته سواء من جهة والده أو والدته، ذات مكانة علمية مرموقة، لأنها تضم عددا كبيرا من العلماء والشيخوخ، حتى أن الطفل فيها كان يتعلم منذ نعومة أظافره، ويلقن القرآن الكريم والسنة النبوية، واللغة والبلاغة والتصوف، وبالفعل أحمدهو بامبا تدرج في كل العلوم الإسلامية وبرع فيها، على يد مشايخ بلاد السنغال وحتى الشيخوخ الموريتانيين .

2 - 1 - نشأته العلمية:

تعتبر عائلة إمباكي من أبرز العائلات التي أنجبت شيوخا وعلماء في السنغال، ولعبوا أدورا تاريخية مهمة في الحياة العلمية في السنغال، لذلك حرص مومار انتاسالي على تعليم ابنه أحمدهو بامبا، و تحضيره من أجل وراثة أمجاد أسرته العلمية، يقول محمد الأمين جوب في هذا الصدد في كتابه "إرواء النديم" حينما بلغ سن التعليم سلمه والده لخاله محمد بن محمد بص شقيق أمه الصالحة فابتدأ بتعليمه حتى ترعرع قليلا، ثم بعد ذلك سلمه إلى خال أم الشيخ "تفسير أمبك نمب بن محمد نمب بن شيخن بص بن محمد الكبير، فكان يمكث عنده في أمبك بوقت الصيف، وفي الخريف في جلف حتى توفي المفسر الكبير، وقد قارب بامبا على الحفظ، ثم عاد إلى والده ليكمل على يده ما تبقى من القرآن الكريم، ثم شرع بالتعلم على يد عمه صمب تكلوركه ابن خالة أبيه، حتى قرأ عليه مبادئ العلم، وتمهر بعض التمهر، ثم رجع إلى والده (11)، وكان الوالد في بطار قرية قرب قصر حمديل مسكن لاتجور أن الأمير كان محبه غاية، وأتخذة شيخا مشاورا، وسكن مع والده حتى برع في الفنون، وفي أثناء هذه المدة كان يأتي القاضي مجخت كل (12)، وهو ساكن مع الأمير، وبارعا في اللغة العربية والشعر، ويصحح الأبيات، التي يقولها الشيخ، ويحفظ عنه و تتلمذ كذلك على يد عالم يقال له محمد بن محمد من بني ديمان فخذ أولاد سيدي الفاضل، والعامه يسمونه محمد اليدالي (13) و أخذ عنه البيان والمنطق " (14) .

وعندما بلغ العشرين من عمره كان قد برع في أكثر فنون العلم، فبدأ يتعلم أصول التصوف لينخرط في سلك الصوفية، ويرى د/ محمد غالاي أنجاي في هذا الصدد أن هذه المرحلة من عمر الشيخ كانت من أبرز المراحل لأنه بدأ يبحث عن شيخ موثقين، وقد أسماها الباحث المرحلة الجولانية، لأنها عبارة عن جولة قام بها الشيخ، طلبا للأشياخ وأخذوا للأوراد، لحين اهتدائه وانصرافه إلى خدمة الرسول مابين

1311 هـ - 1893 - 1894 م وهذه " الخدمة الرسولية " بمثابة قطيعة عرفانية مع شيوخ عصره ،الذين وصفهم بأنهم " ليسوا بمحققين .

و لم أزل منذ خلقت طالبا معرفة بالله جل تائبا

فجلت بين علما وأوليا بنيتي وعملي و قوليا

كي لا يضيع عمري أتعابا بحسن ظن قاد لي احتسابا

حتى انصرفت عام ايشش (15) إلى خدمة خير العالمين ذي العلى

و كان والده أول من أخذ عنه الورد القادري ،كما أخذ الشاذلية و التيجانية ،بعد ذلك في رحلة طويلة قام بها عقب وفاة والده ،إلى أرض البيضان (موريتانيا) ،و قد قام برحلات داخل السنغال و خارجها ،و زار عدة علماء وشيوخ لاستفادة من علمهم كما زار أضرحة الأولياء للتبرك بها ،وجمع في رحلاته الكثير من المخطوطات والكتب النادرة ،وقد درس أمهات الكتب الصوفية ،مثل كتاب : إحياء العلوم لأبي حامد الغزالي والرسالة للقشيري و غيرها من كلاسكيات التصوف (16).

وعند وفاة والده كان قد ترك له حملا كبيرا ،متمثلا في كل مهامه الدينية في امباكي - باول ،و قد تكلف بهذه المهام ما عدا أن يكون مستشارا للاث ديور -و قد سبق و أشرنا لهذا - (17) ،لأن الشيخ لم يرد الخوض في الأمور الدنيوية ،كما أنه لم يبحث عن المكانة السياسية ،على غرار معاصريه من السنغاليين الذين كانوا يتملقون على أبواب الملوك والسلطين للحصول على المكانة والسلطة السياسية .

وبعد مدة زمنية معينة غادر الكايور ،بحثا عن العلم ،وأتجه إلى سان لويس ،وأبدى رغبة كبيرة في رؤية قطب القادرية في إفريقيا الغربية الشيخ سيديا ،و راسل مقدم القادرية أس كامارا as Kamara في سان لويس ،وتبنى بامبا القادرية لأنها الطريقة الأكثر شهرة في إفريقيا الغربية آنذاك ،حيث أن التيجانية لم تكن قد تطورت بعد في السنغال (18) ،و هذا الأمر جعل بامبا يتجه إلى موريتانيا ،وخاصة منطقة تيندوجة Tindouja ،أين سجد الشيخ سيديا ،ويقضي عنده عدة أشهر ،ليدرس على يده مبادئ الطريقة القادرية ،و الفقه الإسلامي و أسس المذهب المالكي ،وكتب البخاري و السيوطي ،التي تهتم بالحديث والتصوف ،و ركز على الشعر العربي ،مما جعل مؤلفاته متنوعة وغنية ،و في زاوية الشيخ سيديا كان الطلاب بعد تعلم المبادئ الأساسية للدين الإسلامي يتجهون إلى تعلم

بعض العلوم الضرورية، الخاصة بتكوين خليفة الطريقة القادرية، هذه التعليم يضاف إليه تلقين علم البلاغة والمنطق والأدب وعلم اللسانيات والسيرة النبوية الشريفة، وقد ربطت علاقة محبة وصداقة بين بامبا وشيخه، الشيخ سيديا الذي كان يهئه ليكون خليفة القادرية ببلاد الولوف (19). وقد سعى الشيخ بامبا لنفع المسلمين وتعليمهم، وتصدر للإقراء في مدرسة والده فتتلمذ على يده خلق كثير لا يحصى عددهم، منهم على سبيل المثال لا الحصر، العلامة الشيخ بك بوسو، والشيخ إبراهيم فاط مباكي والشيخ عبد الرحمن لوح، والشيخ سرين مسامبا مباكي وغيرهم من علماء السنغال، الذين اهتموا بنشر الثقافة العربية الإسلامية في هذه المنطقة (20). ونتيجة لهذا المشوار العلمي الحافل، ألف الشيخ بامبا عدد لا يحصى من التأليف العربية الإسلامية، وقيل أن ما كتبه حوالي 156 قصيدة، كما جمع المعهد التأسيسي لإفريقيا السوداء ما يعادل 700 كلغ، من مؤلفات أحمدو بامبا، ورغم هذا فإن الكثير من مؤلفاته لم تصل إلينا، وقال بامبا في هذا الصدد " ليعلم كل من تعلق بي، أنني توجهت إلى الله تعالى بتواضع كثيرة تكون فيها نفع للمسلمين والمسلمات في الدنيا والآخرة وأن جميع ما كتبه في غيبيتي البحرية (21)، خدمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبارك، وذكر، وشكر و جهاد " (22).

كما ألف عدة كتب في جميع مجالات الدين الإسلامي، وخصوصا التصوف والفقه، ففي حياة والده شرع في التأليف في العلوم النقلية الشرعية، فنظم " ورقات الإمام السنوسي " في كتاب "أم البراهين"، ولقد استعمل والده هذا الكتاب في التدريس، كما نظم كتاب الغزالي " بداية النهاية " وسماه " ملين الصدور " ثم اختصره من جديد وسماه " منور الصدور "، ثم كتاب " الجوهر النفيس " نظم فيه كتاب الأخضري في الفقه المالكي (23)، كذلك قام بنظم كتاب الأخلاق والآداب للإمام الدلاحجي وسماه " نهج قضاء الحاجة " و حين قارب الأربعين قام أيضا بتلخيص كتب نثرية مختلفة، منها خاتمة التصوف والذهب الإبريز للشيخ محمد اليدالي الديماني، و" جنة المريد " للشيخ سيدي المختار الكنتي القادري واقتباسات من كتب " إحياء العلوم " للغزالي، و" الحكم " لابن عطاء الله السكندري، وغير هؤلاء أحمد بن محمد زروق في مؤلف واحد أسماه " مسالك الجنان"، وألف بجانب ذلك كتباً جمع فيها الفقه والتصوف والتوحيد مثل " تزود الصغار " و " جذبة الصغار " و " تزود الشباب " وأغلب كتاباته هي منظومات نثرية قديمة أراد تبسيطها، ليفهمها عامة السنغاليين (24)، وكتاباته في الفقه لم يخرج فيها عن مذهب الإمام مالك، ولم يكتف هنا بالتأليف والإفتاء، بل كان من وصاياه التي تركها لأتباعه، أن يتقيدوا بالمذهب المالكي وما كتبه في الأخلاق والتصوف، كان على نهج السادة الصوفية من أمثال الجيلاني والتيجاني والشاذلي (25).

ومن هنا يتضح لنا أن بامبا قضى حياة علمية زاهرة، نهل فيها من علوم الدين الإسلام من فقه وتصوف وسيرة نبوية، مقتنيا آثار كبار أقطاب الصوفية تاركا خلفه الكثير من المؤلفات العربية، ذات الأهمية الدينية الكبيرة، فكان إلى حد كبير موسوعي الثقافة والفكر حيث كتب في شتى الفنون اللغوية والدينية .

- أحمدو بامبا و الإدارة الفرنسية :

بعد عودة الشيخ بامبا إلى السنغال ،و إنهاء تعليمه في موريتانيا ،على يد الشيخ سيديا الكبير اختار بامبا مكانا بعيدا عن لات ديور الذي كان يواجه الفرنسيين بحثا عن العزلة والتأمل،ليبدأ مشواره الدعوي،والتعليمي،فاتجه إلى امباكي - باول القرية التي أسسها جده لكنه لم يتوقف فيها بل استقر في مكان ليس ببعيد عنها في الأدغال،وأسس تجمعا صغيرا أسماه (دار المرنان) وأنضم إليه فيها تلاميذ والده القدامى ،و إخوانه في وسط هذا التجمع الصغير ،بدأ بامبا يلحق أتباعه القرآن الكريم والعلوم الدينية ،وبعد وفاة لات ديور في ديلي سنة 1986 ، انضم إليه محاربيه القدامى (التيدو) ،الفارين من القوات الفرنسية ،و يرى المؤرخ الأمريكي دونالد كروز أوبراين Donal O ' Brien ان المريدية ضمت كل الفئات الاجتماعية للمجتمع الولوفي(26) ، خاصة الطبقات الاجتماعية الدنيا كطبقة العبيد Jam و طبقة الحرفين Nyènyo ،التي التقت حول الطريقة المريدية (27) ،و رأت في الشيخ أحمدو بامبا المخلص والمنقذ من شتى أنواع الظلم التي عرفت هذه الفئات على يد الأرستقراطية الحاكمة ، و بعد فترة قرر أحمدو بامبا البحث عن مكان آخر يكون مركز لدعوته ،فأختار منطقة تقع بين مقاطعتي الباول والجولوف ،وأسس بها سنة 1987 ،قرية أسماها توبة(28) ،تبعد حوالي 150 كيلومتر عن العاصمة دكار ،وقد أصبحت المدينة المقدسة للطريقة المريدية فيما بعد(29) ، وكانت المنطقة التي أسس فيها الشيخ بامبا قريته قاحلة خالية من الماء ،و لم يكن من الممكن أن يقيم فيها سوى من يريد العزلة لعبادة الله

ولذا يقول الشيخ بامبا " إن سبب محبتي بتوبة و دار السلام أكثر من غيرهما يكمن في صدق الإرادة ،التي دفعتني إلى بنائهما ،ما رجعت فيهما لأصل سابق ،ولا لارتياح مزرع و لا مرعى ،و إنما لعبادة الله وحده بإذن من تعالى و اختيار " (30) ، و مدينة توبة في يومنا هذا تستقبل زهاء مليون نسمة كل سنة ،بمناسبة الاحتفال بليلة 17 صفر ذكرى نفي الشيخ بامبا إلى الغابون ،وتدوم الاحتفالات ثلاثة أيام ،وتدور كلها حول المسجد الجامع ،حيث ضريح مؤسس المريدية (31) .

و يرى بول مارتى أن استقرار الشيخ في توبة ،التي تقع في أرياف الفيرو السفلى بين الجولوف والكاير والبال ،وعلى حدود نهر السنغال وغامبيا ،سهل أن تكون مركز تجمع معادي للسلطة الفرنسية ،لذلك قامت الإدارة الفرنسية بمراقبة بامبا و أتباعه ،كذلك اشتكت منه العائلات ،التي انظم أبناءها إليه سنة 1889 ،و أشتكى بعض الزعماء المحليون منه ،فحاول الحاكم الفرنسي كليمان توماس Clément Thomas تهدئة الأمور والمصالحة بين الشيخ بامبا والشاكين عليه،وطلب من الشيخ أن يرسل الطلبة إلى الإدارة الفرنسية،و عرض عليه الكتب المقدسة ،كرمز للصداقة ،لكن هذا الأمر لم يجدي نفعا مع أحمدو بامبا الذي بعث رسالة إلى الحاكم العام الفرنسي في نفس السنة " لا أحتاج شئ من هذا العالم التافه الفاني" (32) ، كانت هذه الكلمات هي بداية اضطراب العلاقة بين الفرنسيين و بامبا ،ولكن يبقى هذا الحكم هو لأحد رجال الإدارة الفرنسية ،لذلك لا يمكن الأخذ به كليا.

و لكن الخلاف بين الشيخ والسلطات الاستعمارية بدأ فعليا عندما قام حاكم منطقة نديمبور N'Diambour (33) ، بإرسال رسالة للسلطات الاستعمارية قائلا فيها " يشرفني مراسلتك سيدي المقيم لأخبرك أنني لاحظت قدوم الشيخ بامبا إلى البالوف الغربي ،و يوجد عدد من الشيوخ الذين يزورونه ،وأنا لا أثق في هؤلاء الناس أخبرتكم لتسيطروا على الوضع في منطقتي " (34).

و في هذه الفترة اتجه الشيخ مع خمسمائة طالب إلى الجولوف سنة 1895 م واستقر هناك تحت حماية ملك الجولوف سامبا لاوبي Samba Laobé ،و من هنا بدأت السلطات الفرنسية بمراقبة الشيخ أحمدو بامبا كما انزعجت السلطات الفرنسية من تزايد انضمام محاربي و ملوك الكاير والجولوف له ،أما بقية أمراء الجولوف ،فقد تحالفوا مع الفرنسيين ضد الشيخ وارتابت فرنسا من أن تكون حركته ذات طابع الحركات المهدية ،التي تدعو إلى الجهاد المقدس ضد الكفار لذلك قام حاكم سان لويس بكتابة رسالة إلى الحاكم العام الفرنسي في السنغال في 15 أوت 1895 مضمونها " كل قدامى المحاربين في الكاير كل التيدو الذين يعيشون على الحرب والنصب،اجتمعوا حول الشيخ المهدي لمحاربة البيض" (35). و من التهم التي وجهت لأحمدو بامبا هو شراء الأسلحة ،وعدم دفع الضرائب للفرنسيين بالإضافة إلى التحالف مع بوربا الجولوف سامبا لاوبي ،والذي طلب منه بامبا الانضمام إلى الطريقة المريدية كل هذه الأمور مجتمعة جعلت فرنسا تتخوف من التزايد السريع لنفوذ الشيخ بين أتباعه ومؤيديه ،لذلك أصدرت قرارا يقضي بنفيه إلى الغابون في سبتمبر 1995 م ،وقضى بها مدة ثمان سنوات (1895 – 1902 م) (36) .

و يرى محمد غالاي أنجاي أن نفي بامبا من طرف السلطات الفرنسية ،هو بالدرجة الأولى بسبب تخوف السلطات الاستعمارية من أن تكون هذه الحركة مثل الحركات الجهادية السابقة لها ،و التي كانت بمثابة حجرة عثرة في سبيل الإيديولوجية الإستلابية الاستعمارية(37)، و في فترة نفي مؤسس المريدية لم تختفي المريدية ،بل بقي أتباعها في السنغال ينتظرون عودة شيخهم ،وفي سنة 1902 ،توسط الشيخ سيديا الموريتاني للشيخ بامبا لدى الإدارة الفرنسية وقام بكفله لذلك أصدرت الإدارة الفرنسية قرارا سنة 1902 م ينص على رجوع الشيخ إلى السنغال(38) .

و بعد عودته من المنفى تقاطرت عليه وفود الزوار من كل حذب وصوب وازدادت مكانته بين أتباعه لأنه وقف في وجه الاستعمار ،و من هنا بدأت فرنسا تتخوف من زيادة نفوذه فواصلت مراقبته والضغط عليه ،وما زاد من غضب فرنسا هي الرسالة التي أرسلها الشيخ سنة 1903 م ،إلى حاكم مقاطعة أندر(سان لويس) والتي بدايتها كالآتي " بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله تعالى إني عبد الله لا عبد غيره والسلام على من أتبع الهدى " ،هذه العبارات استغزت السلطات الفرنسية التي تأكدت أن لا سلطة على الشيخ بامبا سوى سلطة الخالق عز وجل ،لذلك أصدرت تقريرا في 25 أفريل 1903 يتضمن ما يلي " إن هذا الشيخ ،قد أنكر علانية ،وبصفة غير محترمة شرعية حكومة الوالي الأعظم ،كما أنه قد تسبب في فشله لأداء المهمة المنبطة به ،فإن هالة الرئاسة ،التي كانت تحيط برئيس المنطقة (التي أحمدو بامبا أحد رعاياها) قد قدر كما تتقذر بموجبه سمعة الإدارة التي نصبته وعلى ذلك لا يمكن لنا أن نتفجع حتى تخلق عداءات مشابهة ،التي قد تنازعنا أو تسيء في تنفيذ الأوامر ،التي يتلقاها من طرفنا ،إذن هناك مصلحة سياسية جادة في عدم تخاذلنا لرئيس هذه المنطقة أمام تصرفات وحركات هذا الشيخ ،الذي ليس إلا أحد من رعايا منطقته بغض النظر عما يتمتع به هذا الشيخ من تقدير وإجلال ،من وجهة نظر ديني "(39).

كما ظهرت عدة تقارير من مدراء دوائر تيفوان و تياس و كولاك مفادها أن الشيخ بامبا اشترى الأسلحة ،وجمع الرجال للتحضير للحرب ضد فرنسا ،وقد جاء تقرير مساعد حاكم دائرة كولاك في تاريخ 29 ماي 1903 ،ما يلي : " علمت أن الشيخ بامبا مباكي جمع حوالي 4 إلى 5 الاف رجل للتحضير للحرب على فرنسا "(40) .

لذلك قامت السلطات الفرنسية باعتقاله من جديد في 13 جوان 1903 ، وبعث للإقامة الجبرية بموريتانيا عند معلمه و مرشده الروحي الشيخ سيديا بمنطقة صوت الماء Souet – El- Ma ،بعد أن

قضى خمس سنوات في موريتانيا عاد إلى السنغال سنة 1907، و وضع تحت الإقامة الجبرية بمنطقة تياس بمقاطعة لوغا (41) في مساحة قدرها ربع كيلو متر مربع، وقامت السلطات الفرنسية بتحديد عدد زواره خوفا من تجمع الأتباع، لذا نقص النشاط الدعوي للشيخ بامبا (42)، لكن هذا لم يمنع فلول المريدين من السفر إلى تياس لزيارة شيخهم، و بسبب حسن سلوكه، و تأكد الفرنسيون أن كتابات الشيخ ليس فيها ما يحارب السلطة الفرنسية في السنغال، بل هي كتابات دينية لا غير، لذلك قامت بإصدار قرار في جانفي 1912 ينهي الإقامة الجبرية، ومن هذا التاريخ بدأت فرنسا تسعى إلى استمالة مؤسس المريدية إلى جانبها، وذلك بسبب الحرب العالمية الأولى، التي غيرت الموقف الفرنسي، وجعلها تتحالف مع أنصار الطريقة المريدية لحاجتها إلى الفول السوداني الذي تحكم المريدون بإنتاجه، حيث أنتجت المريدية ما بين سنتي 1895 و 1910 من 60 051 إلى 300 227 طن، من الفول السوداني، و أثناء الحرب العالمية الأولى ازداد الإنتاج إلى أن وصل ل 303 067 طن، لذلك تخوفت السلطات الاستعمارية من الشيخ الذي كان يشجع أتباعه على العمل، و بما أن الولوف يولون للعمل أهمية كبيرة في حياتهم اليومية، فلقد وجدت دعوة بامبا إقبال واسع بين فئات هذا المجتمع فالعمل عامل أساسي في تعاليم أحمدو بامبا ويعتبر من أهم مبادئ الطريقة المريدية خاصة إنتاج الفول السوداني، كذلك أصبحت المريدية تتحكم كذلك في زراعة أنواع مختلفة من الحبوب بكميات كبيرة، كل هذا جعل الفرنسيين يواجهون هذه القوة الاقتصادية الجديدة لصالحهم، ومراقبة بامبا تحولت إلى محاولة لاستمالاته كشريك اقتصادي (43).

كما تبنى الحاكم الفرنسي ويليام بونتي William Ponty (1908 – 1915) سنة 1912، فكرة مهادنة أحمدو بامبا لكسب أتباعه الذين لم يكفوا عن التجمهر حوله في منفاه بتياس، لذلك تبنّت الإدارة الاستعمارية الأسلوب النفعي (44).

و رغم نفي بامبا مرتين، واضطراب العلاقات بينه وبين الفرنسيين، إلا أنه لم يعادي السلطات الفرنسية عسكريا، ومنذ البداية كان يدعو إلى الجهاد السلمي بمعنى الجهاد بالقلم لا بالسيف، ويقول سام بوسو عبد الرحمن في هذا الصدد " الشيخ تجسيد لروح الإسلام و تعاليمه السامية، تبنى في جميع مراحل حياته مبادئ السلم واللاعنف، بصورة إيجابية نافعة، وقد تجلّى ذلك في كتاباته ومؤلفاته العلمية، كما استعمل الشيخ في جهاده الوسائل الأكثر فاعلية و انسجاما، ومنها إعداد الأجيال وتزويدهم بسلاح العلم ومكارم الأخلاق " (45)

وفاته :

في أواخر حياته أسس الشيخ أحمدو بامبا عدة مراكز و استقر بعدة مناطق لنشر دعوته ،وتدريس القرآن الكريم ،والعلوم الإسلامية لأتباعه ،و في سنة 1924 أصبحت توبة رسميا عاصمة روحية ودينية للمريديّة ،و قرر بامبا أن ينشئ مبها مسجدا يشبه النموذج المكي ،والذي سيصبح بعد موته قبلة يرتادها أتباعه ،ولم يستطع بامبا إكمال بناء هذا المسجد ،فقد داهمته المنية في 19 جويلية 1927 م (46) ،و دفن في توبة ،و أصبح ضريحه مزارا للمريدين من كل حذب وصوب في ذكرى نفيه إلى الغابون في 18 صفر من كل سنة في حج غفير يعرف بمغال (47) .

خاتمة :

نلخص في آخر هذا المقال إلى النقاط التالية :

- ظهرت شخصية أحمدو في فترة مهمة من تاريخ السنغال، إذ عرفت هذه المنطقة موجة من الحركات الصوفية التي حاربت المستعمر الفرنسي مما ساهم في تكوين شخصيته الفكرية و تحديد الايديولوجية التي سيتبعها إذ أنه احتك بأبرز الرجال الذين حاربوا الاستعمار على غرار لات ديور و المابا دياخو ،فتبنى الفكر الجهادي لكنه رفض الاسلوب العسكري ،ربما لأنه رأى بأمر عينيه مصير تلك الحركات التي سقطت الواحدة تلو الأخرى على يد الاستعمار بسبب عدم التكافؤ العسكري ،لذلك ركز على الجانب الثقافي و الاقتصادي ،فسعى إلى إخراج السنغاليين من براثن الجهل و تنويرهم ثقافيا ،و حاول أن يوفر مصدرا للرزق لهؤلاء السكان بتشجيعهم على العمل لخروجهم من نطاق التبعية الاقتصادية للمستعمر الفرنسي .

- الانتماء المزدوج العلمي سواء من جهة والده او من جهة والدته ساهم في بلورة شخصيته و انتهاجه نهج العلماء و الفقهاء اذا أن حرص عائلته على تعليمه و تفقيحه كان السبب الرئيسي في بروز هذه الشخصية العلمية الفذة ،

- تتلمذه على يد شيوخ الطرق الصوفية ،و تدرج في أغلب الطرق الصوفية جعله يتبنى الصوفية و يؤسس الطريقة المريدية التي من اسمها كانت جامعة لكل الطرق الصوفية ،اذ أن كلمة (مريد) لفظ يطلق على جميع أتباع الصوفية ،

-بسبب منطلقاته الإسلامية نشر الإسلام في السنغال و نشر اللغة العربية بين أفراد قبيلة الولوف ،عن طريق المراكز العلمية التي أنشأها مثل مدينة طوبة و دار السلام .

-مؤلفاته تعتبر ثروة فكرية ،ساهمت في اثناء المكتبة السنغالية ،خاصة في جانبها الاسلامي العربي .

الملاحق :



الملحق (1) : صورة مؤسس الطريقة المريدية الشيخ أحمدو بامبا(48)



الملحق (5) : أحمدو بامبا في مكتب الحاكم العام لإفريقيا الغربية الفرنسية في مدينة سان لويس لمناقشة قضيته مع الإدارة الفرنسية ،لوحة رسمها الفنان السنغالي ألفا والي ديالو (49)

الحواشي و الهوامش :

(¹)- محمد الأمين جوب الدغاني : إرواء النديم من عذب حب الخديم (سيرة الشيخ أحمد بمب) ،تحقيق : محمد شقرون ،مؤسسة مؤسسة الأزهر ،السنغال ،ص 51 .

(²)-محمد غالاي أنجاي : أحمد بمبا الشخصية التاريخية ،مجلة الوعي الميريدي ،نشرة غير دورية ،يصدرها نادي الوعي الميريدي ،بروكسل ،بلجيكا ،مايو 2008 ،ص 8 .

(³) - Vincent Monteil : Esquisses Sénégalaise (Walo, Kayor, Dyolof Mourides, UN visionnaire), IFAN .Dakar, 1966, p 161.

(⁴) - Cheikh Anta Babou: Le Jihad de l 'âme Amadou bamba et la foundation de la Mouridiyya au Sénégal (1853 – 1913), Traduit de l anglais par : Genvève Knisbiehler, Edition Karthala Paris ,p 66 – 67 .

(⁵) -محمد الامين جوب الدغاني ،المرجع السابق ،ص 51 .

(⁶) - Cheikh Tidiane Sy: Confrère Sénégalaise des Mourides un essai sur l islam au Sénégal, Présence Africaine, 1969, P 104.

(⁷) - جوب الدغاني : المرجع السابق ،ص 52

(⁸) – Serigne Khadim Mbaké Cheikou , Les Mouridisme pensée et Méthodologie ,Actes du 1er colloque international du Grand Magal de Touba sur la réponse du soufisme à la crise, 23-26 décembre 2011, Dakar, P 25 .

(⁹)-Marty Paul: Études sur l Islam au Sénégal, Ernest Leroux éditeur, Paris, Tome 1, 1917-, P 223

(¹⁰) - محمد خالد ثابت : من أقطاب الأمة في القرن العشرين ،ط 2 ،دار المقطم للنشر والتوزيع ،القاهرة ،محرم 1430 - يناير 2009 ،ص 194

(¹¹) - جوب ،المرجع السابق ،ص 53 .

(¹²)-مجنت كل Madiakate Kalla (1835 – 1902) ،كان قاضيا للأمير لات ديور ،وأشتهر ببراعته في الأدب العربي أنظر ،محمد غالاي أنجاي نالشيخ أحمدو بمبا سبيل السلام ،ص 192 .

(¹³) - محمد اليدالي بن المختار الديماني (1096 – 1160 هـ / 1685 – 1753) ،شاعر وعالم في السيرة ،والتصوف ،ولو عدة مصنفات في التفسير .أنظر : خليل النحوي : بلاد شنقيط المنارة.. والرباط عرض الحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر) ،المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم ،تونس ،1987 ،ص 529 .

(¹⁴) - جوب : المرجع السابق ،ص 54-56 .

(¹⁵) - إيشش تعادل وفق الحساب الجملي عام 1311 هـ / الموافق ل 1839 – 1894 م ،أنظر : انجاي ،أحمد بمبا الشخصية التاريخية ،ص 9 - 10 .

(¹⁶) - Serigne Khadim Mbaké Cheikou, Op.cit. , P 26 .

(¹⁷) -C. Tidiane Sy, Op. Cit, P 107.

(¹⁸) - الشيخ سيديا بابا (ت 1342 - 1924) عالم جليل وفقهه ،ومحدث وأصولي ومؤرخ وشاعر أنظر : الخليل النحوي ،المرجع السابق ،ص516 .

(³) -T.C. Tidiane Sy, Op.Cit, P 107 – 108.

(²⁰) - أبو مدين شعيب تياو الأزهرى ، فتح الوهاب في شرح سعادة الطلاب (نظم المقدمة الاجرومية للعالم العلامة الشيخ أحمد بمبا) ،مطبعة المعارف الجديدة ،الرباط ، 2009 م ،ص 17 .

(²¹) - الغيبة البحرية : هي الفترة التي قضاها بامبا في الغابون بعد نفيه من طرف السلطات الفرنسية ما بين 1895 - 1902 م

(²²) - محمد المرتضى امباكي بشير : التأصيل لأحكام السهو وقواعده من خلال كتاب الجوهر النفيس للشيخ أحمدو بامبا السنغالي (1852 - 1927) ،بحث لنيل شهادة ماستر في الدراسات الإسلامية ،تحت إشراف : عبد الله الهلالي ،جامعة سيدي محمد بن عبد الله ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،فاس ، 2009 - 2010 ،ص 16 .

(²³) -جوب الدغاني : المرجع السابق ،ص 63 - 64 .

(²⁴) - أنجاي ،أحمد بمبا الشخصية التاريخية ،ص 10 - 11 .

(²⁵) - امباكي عبد الرحمن : عقيدة أهل السنة والجماعة عند الشيخ احمدو بامبا فكريا وممارسة ،محاضرة مغال ،روض الرياضين ،طوبى ، 18 صفر 1431 هـ - 3 فبراير 2010 م ،ص 14 .

(²⁶) -C. Tidiane Sy, Op.Cit, P108 – 109.

(²⁷) - Donal .Cruise O ‘ Brien : Le talibé mouride la soumission dans une confrérie religieuse sénégalaise, Cahiers d’études africaine, Volume 10, Numéro 40, P 564.

(²⁸) - C.T.Sy, Op.Cit, P 110.

(²⁹) - Christian Coulon : Le marabout et le prince (Islam et pouvoir au Sénégal), Édition A. PEDONE, Paris, P 7.

(³⁰) - عبد الرحمن سام بوسو: الاحتفال بذكرى خروج الشيخ أحمد بمب الى الغيبة البحرية البعد الديني و الاجتماعي ،مطبعة المعارف الجديدة ،الرباط2012 ،ص 8 .

(³¹) - عبد القادر سيلا: المسلمون في السنغال معالم الحاضر وأفاق المستقبل ،كتاب الأمة العدد 22 ،قطر ، 12 شوال 1406 هـ ،ص 139 .

(³²) - P. Marty, Op .Cit, P 224- 225.

(³³) -تقع في شمال السنغال ،يحدها من الغرب المحيط الأطلسي ،ومن الجنوب إقليم الكايور . منطقة نديمبور

N’Diambour أنظر : Mamady Sidibé : Migrants de l ‘arachide la conquête de la forêt classée de pata Casamance Sénégal, Éditions IRD, Paris, p 23.

(³⁴) -C. Tidiane Sy, Op.Cit, P 113

(³⁵) - Coulon, Op.Cit, P 75.

(36)- P. Marty, Op.Cit, P 226 -227.

(³⁷) - محمد غالاي أنجاي : الجدل العقيم بين الأنا والآخر في قراءة التراث الخديمي (إشكاليات التراث وآليات القراءة) ، مجلة الوعي الميريدي ، نشرة دورية ، يصدرها نادي الوعي الميريدي ، بروكسل - بلجيكا ، العدد الأول ، مايو 2008 ، ص 32 .

(38) – Marty, Op.Cit, p 227.

(39) – محمد غالاي أنجاي : الجدل العقيم بين الأنا والآخر في قراءة التراث الخديمي ، ص 45 – 46 .
(⁴⁰) - Momar Coumba Diop, Sénégal. Trajectories d'un État, Dakar, Codesria, 1992, P 41.

(⁴¹) – لوغا تقع شمال السنغال بجنوب سان لويس أنظر : M. Sidibé, Loc.Cit:

(2)- Christian Coulon, Op. Cit, P 7.

(⁴³) - C. Tidiane Sy, Op. Cit, p 123 – 125.

(⁴⁴) - Ch. Anta Babou, Op. Cit, P 251 .

(⁴⁵) - سام بوسو عبد الرحمن : اللاعن في تعاليم الشيخ الخديم ، محاضرة أقيمت ضمن فعاليات الذكرى المئوية لرجوع الشيخ الخديم من منفاه في الغابون ، دكار ، 11 نوفمبر 2003 ، ص 7 – 8 .

(⁴⁶) - C. Tidiane Sy, Op.Cit, P 127 – 128.

(⁴⁷) - مغال باللغة الولوفية يعني تبجيل الشئ والتتويه بقدره ، وتعظيمه ، وقد كان الإبتاع في البداية يسمون هذا الاحتفال بعيد الأضحى الصغير لما بينهما من الشبه ، فمنع الشيخ الخديم هذا التسمية لما يشوبها من الابتداع في الدين ، ثم أطلق عليه اسم مغال ، ويعتبر تاريخ 18 صفر بداية للمحن و المعاناة التي عرفها الشيخ خلال نفيه ، ولقد ابتدع الشيخ هذا الاحتفال شكرا لله تعالى . انظر : سام بوسو عبد الرحمن ، الاحتفال بذكرى خروج الشيخ أحمد بمب إلى الغيبة البحرية البعد الديني و الاجتماعي ، ص 5 – 6 .

(⁴⁸) – P.Martty, Op.Cit, P 222

(⁴⁹) - Cheikh Anta Babou, Op.cit. , P 251.